

به أيْمسِكُهُ على هُونٍ أَمْ يَدْسُهُ فِي التُّرَابِ إِلَّا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١﴾.

«وانحرفهم عن العقيدة الصحيحة سوّل لهم وأد البنات أو الإبقاء عليهن في الذل والهوان من المعاملة السيئة والنظرة الوضيعة، ذلك أنهم كانوا يخشون العار والفقر مع ولادة البنات. إذ البنات لا يقاتلن، ولا يكسبن، وقد يقعن في السبي عند الغارات فيجلبن العار، أو يعشن كلاً على أهليهن فيجلبن الفقر.

والعقيدة الصحيحة عصمة من هذا كله. إذ الرزق بيد الله يرزق الجميع ولا يصيب أحداً إلا ما كتب له، ثم إن الإنسان بجنسيه كريم على الله، والأنثى - من حيث إنسانيتها - صنو الرجل وشطر نفسه كما يقرر الإسلام.

ويرسم السياق صورة منكرة لعادات الجاهلية: «وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم» مسوداً من الهم والحزن والضيق، وهو كظيم يكظم غيظه وغمه، كأنها بلية، والأنثى هبة الله له كالذكر، وما يملك أن يصور في الرحم أنثى ولا ذكراً، وما يملك أن ينفخ فيه حياة، وما يملك أن يجعل من النطفة السانجة إنساناً سوياً، وإن مجرد تصور الحياة نامية متطورة من نطفة إلى بشر - بإذن الله - ليكفي لاستقبال المولود - أيأ كان جنسه - بالفرح والترحيب وحسن الاستقبال، لمعجزة الله التي تتكرر، فلا يبلي جدتها التكرار! فكيف يغتم من يبشر بالأنثى ويتوارى من القوم من سوء ما بشر به وهو لم يخلق ولم يصور، إنما كان أداة القدرة في حدوث المعجزة الباهرة؟

وحكمة الله، وقاعدة الحياة، اقتضت أن تنشأ الحياة من زوجين ذكر وأنثى، فالأنثى أصيلة في نظام الحياة أصالة الذكر، بل ربما كانت أشد أصالة لأنها المستقر، فكيف يغتم من يبشر بالأنثى، وكيف يتوارى من القوم من سوء ما بشر به، ونظام الحياة لا يقوم إلا على وجود الزوجين دائماً؟.

إنه انحراف العقيدة ينشئ آثاره في انحراف المجتمع وتصوراتهِ وتقاليدهِ... «ألا ساء ما يحكمون» وما أسوأه من حكم وتقصير،<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة النحل آيات ٥٨ - ٥٩.

(٢) في ظلال القرآن ٤/٢١٧٨.